الشرق الأوسط فى استراتيجية الأمن القومى الأمريكي

هانى سليمان
مدير المركز العربى للدراسات

جاء إعلان الرئيس الأمريكى ترامب عن "استراتيجية الأمن القومي الأمريكي" نهاية ٢٠١٧ بمثابة تحديد أولويات وترتيبات جديدة في السياسة الخارجية الأمريكية في ظل ظروف دولية مضطربة وفي سياق فترة رئاسية مختلفة نوعياً عن سابقاتها في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بقدوم ترامب وخطابه الشعبوي المصلحي بالمقام الأول، ولقد تضمنت تلك الاستراتيجية الإشارة إلى عدد من المحاور والقضايا الخاصة بالشرق الأوسط، بما يعنيه من إعادة تعريف القضايا ذات الاهتمام، والدول الصديقة والملفات الشائكة.، وهو ما يعني ضمناً تأسيس سياسة خارجية مختلفة إلى حد ما، بما تحمله الاستراتيجية الجديدة من رسائل وتحليلات.

أولاً: البنود الرئيسية في استراتيجية الأمن القومي الأمريكية

تعتمد استراتيجية الأمن القومي الأمريكي على أربعة محاور أساسية:

المحور الأول: حماية الوطن والشعب الأمريكي وطريقة الحياة الأمريكية:

تناولت الاستراتيجية التحديات والاتجاهات الرئيسية التي تؤثر على مكانة الولايات المتحدة في العالم؛ وتتمثل في:

١. قوى المراجعة، مثل الصين وروسيا، اللتان تستخدمان التكنولوجيا والدعاية

والإكراه لخلق عالم يتعارض مع مصالح أمريكا وقيمها.

٢. الإرهابيون الجهاديون: الذين يثيرون الكراهية للتحريض على العنف ضد الأبرياء باسم أيديولوجية تتسم بالشر والمنظمات الإجرامية عبر الحدود التي تنشر المخدرات والعنف في المجتمعات.

وتوضح الإستراتيجية مفهوم الرئيس ترامب للواقعية المبدئية وتدفع به قدماً باعتبار أن الاستراتيجية واقعية لأنها تعترف بالدور المركزي للسلطة في السياسة الدولية، وتؤكد أنّ الدول القوية وذات السيادة هي أفضل أمل لعالم سلمي، وتحدد بوضوح المصالح الوطنية الأمريكية. كما ترتكز على تعزيز المبادئ الأمريكية التي تنشر السلام والازدهار في مختلف أنحاء العالم. علاوة على حماية الوطن، حيث تقع على عاتق الرئيس ترامب المسؤولية الأساسية وهى حماية الشعب الأمريكي والوطن وطريقة الحياة الأمريكية. بالإضافة لتعزيز الولايات المتحدة السيطرة على حدودها وإصلاح نظام الهجرة لحماية الوطن.

ولقد تم تحديد ما أسمته الاستراتيجية "أكبر التهديدات العابرة للحدود الوطنية"؛ وتتمثل فى الإرهابيين الجهاديين الذين يستخدمون القوة الوحشية لارتكاب القتل والقمع والرق والشبكات الافتراضية لاستغلال السكان الضعفاء والتخطيط للمؤامرات وتنفيذها. ثم المنظمات الإجرامية العابرة للحدود التي تمزّق المجتمعات بالمخدرات والعنف وتضعف حلفاء أمريكا وشركاءها من خلال إفساد المؤسسات الديمقراطية.

وفي سبيل مواجهة ذلك تهدف الاستراتيجية الأمريكية إلى مجابهة التهديدات في منابعها، قبل أن تصل لحدودها أو تسبب ضرراً لشعبها، علاوة على مضاعفة الجهود لحماية البنية التحتية الحيوية والشبكات الرقمية، لأنّ التكنولوجيا الجديدة والخصوم الجدد خلقوا نقاط ضعف جديدة. الأمر الذى يتطلب نشر نظام الدفاع الصاروخي ذى الطبقات للدفاع عن الولايات المتحدة ضد أي هجمات صاروخية.

المحور الثاني: تعزيز الرخاء الأمريكي

ويتحقق ذلك من خلال اقتصاد قوي يحمي الشعب الأمريكي، ويحافظ على القوة الأمريكية، عبر عدة إجراءات تتمثل في القيام بتجديد الاقتصاد الأمريكي لصالح العمال والشركات الأمريكية، والتعامل الصارم مع الانتهاكات التجارية المزمنة والسعى إلى علاقات اقتصادية حرة وعادلة ومتبادلة. ولتحقيق النجاح في هذه المنافسة الجيوسياسية في القرن الحادي والعشرين، يجب على الولايات المتحدة أن تكون رائدة في مجال البحوث والتكنولوجيا والابتكار. وتنمية قاعدة الابتكارات الأمنية الوطنية لمواجهة من يسرقون ملكيتها الفكرية. وأخيراً، الهيمنة على الطاقة لضمان أن تظل الأسواق العالمية مفتوحة وأن تعزز فوائد التنويع والوصول إلى الطاقة كأهم متطلبات الأمن الاقتصادي والقومي.

المحور الثالث: الحفاظ على السلام من خلال القوة

والذي سيضمن تعزيز الولايات المتحدة للسلام ويردع الأعداء؛ من خلال إعادة بناء القوة العسكرية الأمريكية لضمان بقائها في المرتبة الأولى، واستخدام جميع أدوات الحوكمة في ظل المنافسة الاستراتيجية الجديدة – التنافس الدبلوماسي والمعلوماتي والعسكري والاقتصادي – وذلك من منطلق ضرورة حماية مصالحها، تعزيز القدرات عبر مجالات عده –الفضاء والإنترنت– وتنشيط القدرات التي أُهملت أثناء حكم أوباما، والعمل مع الحلفاء من أجل حماية المصالح المشتركة، والحفاظ على توازن القوى لصالح الولايات المتحدة في المناطق الرئيسية من العالم: الهند ومنطقة المحيط الهادي، وأوروبا والشرق الأوسط.

المحور الرابع: الدفع قدماً بنفوذ الولايات المتحدة (الهيمنة):

باعتبار الولايات المتحدة قوة تقف إلى جانب الخير طوال تاريخها، حسب تعريف الاستراتيجية، فإن ذلك يستدعي استخدام نفوذها للنهوض بمصالحها ولإفادة البشرية؛ من خلال مواصلة تعزيز نفوذها في الخارج لحماية الشعب الأمريكي

وتعزيز ازدهارها، واستمرار الجهود الدبلوماسية والتنموية للولايات المتحدة لتحقيق نتائج أفضل في مختلف المجالات –الثنائية ومتعددة الأطراف وفي مجال المعلومات– لحماية مصالحها، وإيجاد فرص اقتصادية جديدة للأمريكيين، وتحدي منافسيها، وإقامة شراكات مع الدول ذات التفكير المماثل من أجل تعزيز اقتصادات السوق الحرة ونمو القطاع الخاص والاستقرار السياسي والسلام، وهو ما يتماشى مع مناصرة الولايات المتحدة لقيمها، مثل سيادة القانون وحقوق الفرد، والتي تعزز الدول القوية والمستقرة والمزدهرة وذات السيادة، وإبراز الولايات المتحدة سياستها الخارجية من خلال نفوذها كقوة إيجابية يمكن أن تساعد على تحديد ظروف السلام والازدهار وتنمية المجتمعات الناجحة.

ثانياً: الشرق الأوسط في استراتيجية الأمن القومي الأمريكى

تعاملت استراتيجية الأمن القومي الأمريكى مع قضايا وشئون الشرق الأوسط على مختلف الاتجاهات، وسنركز على المحاور الآتية:

(١) قضية الإرهاب

ذكرت الاستراتيجية أن الولايات المتحدة تسعى إلى شرق أوسط لا يشكل ملاذاً آمناً أو أرضاً خصبة للإرهابيين الجهاديين، لا تسيطر عليه أي قوة معادية للولايات المتحدة، بل يساهم في إيجاد سوق عالمي مستقر للطاقة.

فعلى مدى سنوات، أدت المشاكل المتشابكة والناتجة عن التوسع الإيراني، وانهيار الدول، وإنتشار الأيديولوجية الجهادية، والركود الاجتماعي والاقتصادي، والمنافسات الإقليمية، إلى إرباك منطقة الشرق الأوسط، وقد علم المسئولون فى الولايات المتحدة أن أي تطلعات من أجل التحول الديمقراطي أو فك الارتباط يمكن أن تعزلها عن مشاكل المنطقة. وأن عليهم أن يكونوا واقعيين بشأن توقعاتهم للمنطقة دون السماح بالتشاؤم لحجب مصالح بلادهم أو رؤيتها من أجل الوصول إلى شرق أوسط حديث.

ولا تزال المنطقة موطناً للمنظمات الإرهابية الأكثر خطورة في العالم. حيث يتعايش ويزدهر تنظيم داعش والقاعدة على عدم الاستقرار وتصدير الجهاد العنيف. وقد استغلت إيران حالة عدم الاستقرار لتوسيع نفوذها من خلال شركائها ووكلائها، وانتشار الأسلحة، وتمويل العناصر المارقة. وتواصل إيران تطويرها لأكبر قدر من الصواريخ الباليستية وتطوير قدراتها الاستخباراتية، وتمارس الأنشطة الإلكترونية الضارة، وقد استمرت هذه الأنشطة دون هوادة منذ الاتفاق النووي لعام ٢٠١٥. وتواصل إيران نشر العنف في المنطقة، مما يسبب أضرارا جسيمة للسكان المدنيين. فالدول المتصارعة تملأ الفراغات الناجمة عن فشل وانهيار الدول، وعن الصراعات الإقليمية الممتدة.

وعلى الرغم من هذه التحديات، هناك فرص جديدة للنهوض بالمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط. حيث يتعاون مع الولايات المتحدة بعض شركائها الرافضين للأيديولوجيات المتطرفة، ويدعو القادة الرئيسيين إلى رفض التطرف والعنف الذى تمارسه بعض التيارات الاسلامية المتشددة، ودعم وتشجيع الاستقرار السياسي والإزدهار المستدام الذى يسهم في التخفيف من حدة الظروف التي تغذي العداء الطائفي، وقد ذكرت الاستراتيجية أنه على مدى أجيال، كان الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين يُفهم على أنه المؤثر الرئيسي الذي يمنع السلام والازدهار في المنطقة. أما اليوم، فإن التهديدات التي تشكلها المنظمات الإرهابية الجهادية والتهديد الذي تشكله إيران يخلقان إدراكاً بأن إسرائيل ليست سبباً لمشاكل المنطقة. حيث وجدت الدول بشكل متزايد مصالح مشتركة مع إسرائيل في مواجهة التهديدات المشتركة.

وتتاح الفرصة اليوم للولايات المتحدة لتحفيز المزيد من التعاون الاقتصادي والسياسي الذي من شأنه أن يوسع الرخاء لأولئك الذين يرغبون في إقامة شراكة معها. ومن خلال إعادة تنشيط الشراكات مع الدول ذات التفكير الإصلاحى وتشجيع

التعاون بين الشركاء فى المنطقة، يمكن للولايات المتحدة أن تعزز الاستقرار وتوازن القوى الذى يؤيد المصالح الأمريكية من خلال عدد من الاجراءات:

الإجراءات السياسية: ينتظر أن تقوم الولايات المتحدة بتعزيز الشراكات الحالية، وتشكيل شراكات جديدة، للمساعدة في تعزيز الأمن والإستقرار، وتشجيع الإصلاحات التدريجية كلما أمكن، ودعم الجهود الرامية إلى مكافحة الأيديولوجيات العنيفة وزيادة احترام كرامة الأفراد، كما تؤكد التزامها بمساعدة شركائها على تحقيق منطقة مستقرة ومزدهرة، بما في ذلك من خلال مجلس قوي ومتكامل لدول مجلس التعاون الخليجي. بالإضافة لتعزيز شراكتها الاستراتيجية بعيدة المدى مع العراق كدولة مستقلة، وكما تسعى للتوصل إلى تسوية للحرب الأهلية السورية التي تهيئ الظروف لعودة السوريين إلى ديارهم وإعادة بناء حياتهم بأمان، وتعمل مع الشركاء على حرمان النظام الإيراني من كل المسارات التي توصله لإنتاج سلاح نووي، وتحييد أي تأثير خبيث لهذا النظام، وتؤكد التزامها بدعم تيسير التوصل إلى اتفاق سلام شامل مقبول لدى الإسرائيليين والفلسطينيين على السواء.

الإجراءات الاقتصادية: تقوم على دعم الولايات المتحدة الإصلاحات الجارية التي تبدأ في معالجة أوجه الإجحاف الأساسية التي يستغلها الإرهابيون، وتشجيع دول المنطقة، بما فيها مصر والسعودية، على مواصلة تحديث اقتصاداتها، وتحفيز التطورات الإيجابية من خلال الانخراط اقتصاديا ودعم الإصلاحيين، والنهوض بمزايا الأسواق والمجتمعات المفتوحة.

الإجراءات العسكرية والأمنية: من المقرر أن تحتفظ الاستراتيجية الأمريكية بالوجود العسكري الأمريكي الضروري في المنطقة لضمان حماية الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من الهجمات الإرهابية، وضمان الحفاظ على توازن قوة إقليمي. وأن تساعد الشركاء الإقليميين على تعزيز مؤسساتهم وقدراتهم، بما في ذلك في مجال إنفاذ القانون، من أجل القيام بجهود مكافحة الإرهاب ومكافحة التمرد،

وستساعد أيضاً الشركاء على شراء الدفاع الصاروخي المتبادل والقدرات الأخرى من أجل الدفاع بشكل أفضل عن التهديدات الصاروخية النشطة، وسوف تعمل مع الشركاء لتحييد الأنشطة الخبيثة الإيرانية في المنطقة.

(٢) العلاقات مع إيران

تم ذكر إيران إحدى عشرة مرة في هذه الاستراتيجية وهو عدد يزيد عن ذكرها في استراتيجية الأمن القومي السابقة والتي صدرت في عام ٢٠١٥، وهو أمر معنى ودلالة، حيث ذُكرت إيران آنذاك أربع مرات حينها كان الرئيس باراك أوباما في البيت الأبيض.

وتعتبر الاستراتيجية الجديدة أن الأنشطة الصاروخية الإيرانية وما تسعى إليه إيران من تعزيز قدرتها الصاروخية هو تهديد مشابه لصواريخ كوريا الشمالية، وهنا يجب الإشارة إلى ذكر إيران جنباً إلى جنب مع كوريا الشمالية في التوصيفات السلبية التي تستخدمها الاستراتيجية، حيث تكرر ذكر برنامج إيران الصاروخي والأنشطة المتعلقة به وكذلك دعم إيران للجماعات الإرهابية وفق الاستراتيجية في أكثر من سياق، الأمر الذى يعكس مدى حضور إيران على مائدة التحديات التي تواجه إدارة الرئيس دونالد ترامب.

وتعتبر الاستراتيجية أن سعي إيران إلى تطوير علاقات اقتصادية مع كل من الصين وروسيا ينطوي على عنصر تهديد للمصالح الأميركية، وأن هذا يضاعف التهديدات بسبب الخلافات الروسية الأميركية وكذلك التباينات بين الولايات المتحدة والصين.

وفي إطار الحديث عن إيران في السياق الشرق أوسطى ترى الاستراتيجية أن إيران تسعى إلى توظيف الفوضى السياسية في الاقليم والفراغات السياسية التي تسببت فيها تطورات ما بعد الربيع العربي، وهي تقوم بذلك جنباً إلى جنب مع تطوير قدراتها الصاروخية وتوظيف الاتفاق النووي لتعزيز نفوذها ومصالحها في منطقة الشرق الأوسط وخلق شبكة من الحلفاء.

وفي حقيقة الأمر، يسخر ترامب استراتيجيته فى الشرق الأوسط للوقوف في وجه إيران. وما ورد في النص، يمارسه منذ اليوم الأول لدخوله البيت الأبيض. وحتى إبان حملته الرئاسية، كان ترامب يعتبر الاتفاق النووي هو "أسوأ" اتفاق فاوضت عليه الولايات المتحدة ووعد ب"تمزيقه" إذا فاز في الانتخابات. لكن الأطراف الأخرى الموقعة على الاتفاق هي التي أجلت انسحاب ترامب من الاتفاق على غرار الاتفاقات الأخرى التي انسحب منها خلال ١١ شهراً من ولايته.. وق أعلن ترامب انسحابه بالفعل من الاتفاق النووى الايرانى فى ٢٠١٨/٥/٧.

وتبريراً للعقوبات التي فرضها ترامب على إيران، فإنه يذهب إلى الحديث عن مخالفة طهران لما يسميه "روح" الاتفاق النووي. والذي يعنيه بذلك هو الدور الإقليمي المتعاظم لإيران في العراق وسوريا واليمن ولبنان، وهو ما يعتبره يشكل خللاً في "التوازن الإقليمي" يجب التصدي له. وكانت إعادة ترميم العلاقات الأميركية – السعودية، التي اهتزت في عهد أوباما، إحدى الوسائل التي يتوسلها ترامب في هذه المواجهة.

ينصبّ تركيز ترامب وإدارته على الوسائل التي تتيح للولايات المتحدة خوض هذه المواجهة الشاملة مع إيران، ويندرج في مسار التصعيد اتهام المندوبة الأمريكية لدى الأمم المتحدة نيكي هايلي لإيران بأنها هي من زود الحوثيين بالصاروخ الباليستي الذي أطلقوه على الرياض.

وتستخدم واشنطن الساحات الإقليمية للضغط على إيران، وتخشى في الوقت عينه رداً إيرانياً في هذه الساحات، وهذه وكالة الإستخبارات المركزية الأميركية "CIA" تكشف عن توجيهها رسالة تحذير إلى قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني الجنرال قاسم سليماني، من مغبة استهداف القوات الأميركية التي ستبقى في العراق بعد زوال "داعش."

وفي سوريا ينتشر الجنود الأميركيون في مناطق سيطرة المقاتلين الأكراد

ولاسيما في منطقة دير الزور المحاذية للحدود العراقية، والهدف من ذلك قطع التواصل البري على إيران نحو المتوسط، كذلك تحاول القوات الأميركية عرقلة الممر البري أمام طهران من المناطق الكردية في شمال العراق .

لا تترك إدارة ترامب ساحة إلا وتحاول من خلالها الضغط على إيران بتهمة "زعزعة الاستقرار" في الشرق الأوسط، ولا تضيف الاستراتيجية المعلنة للأمن القومي الأميركي جديداً على المعركة الدائرة.

وكان رد الفعل الإيراني مستنكراً، حيث أعرب المتحدث بإسم وزارة الخارجية الإيرانية "بهرام قاسمي" عن تنديد إيران ورفضها للاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي؛ مصرحا أن نصّ الاستراتيجية برمته ملىء بالمحاولات عديمة الجدوى التى تهدف إلى إثارة وبث المخاوف المفتعلة ضد إيران، وأن مضمون النص اللامنطقي لهذه الاستراتيجية غير المتزنة وأحادية الجانب يشير بوضوح إلى أن حكومة هذا البلد حاولت اللجوء إلى سياسة الإسقاط إزاء التحديات والهزائم والمعضلات المفتعلة التي تتعرض لها باستمرار على الصعيدين الداخلي والدولي والتي كشفت عن حقائقها خلال العام الماضي أكثر من أي وقت مضى، وأكد قاسمي أن ما تتعرض له أمريكا من تهديدات وهمية ومزعومة هي ناجمة عن السياسات والتصرفات الخاطئة تماما، والتي انتهجها المسؤولون في هذا البلد علي مرّ العقود الماضية ازاء شعوب العالم وخاصة اخطاؤهم العديدة في منطقتي غرب آسيا والخليج الفارسي الحساسة.

تكشف الوثيقة الأمريكية عن وجود فجوة بين الاستراتيجية كرؤية وتوجه من ناحية، وخطة عمل وخطوات محددة لتحويل هذه الاستراتيجية إلى خطة عمل متماسكة، وعمل واضح على الأرض من ناحية أخرى وبالتالي، فإن أحد مصادر القلق حيال ذلك هو أن ترامب سيسمح لإيران بالمزيد من الوقت والمرونة لزيادة وتوسيع نفوذها في المنطقة قبل أن تتمكن الولايات المتحدة وحلفاؤها من تدارك

ذلك، ومن المرجح أن تتم دراسة هذه الفجوة في المحادثات التفصيلية التي تتم بين مختلف فروع الإدارة بمن فيهم المفكرين الاستراتيجيين، والقادة العسكريين. وبما أنه من المتفق عليه وجود إسرائيل في تلك المحادثات التفصيلية، فإن هذا يشير إلى أن إسرائيل لا بد أن تؤثر على تشكيل السياسة الأمريكية، في المدى القصير على الأقل، ومن المرجح أن يؤدي ذلك إلى صياغة استراتيجية أمريكية-إسرائيلية مشتركة ضد إيران، بحيث تضمن حماية المصالح الإسرائيلية، وبما يشمل مبادئ لتنسيق ردود الفعل في حالة حدوث خروقات إيرانية لأية اتفاقيات دولية، حتى لو لم تكن إسرائيل طرفا فيها، وتضغط إسرائيل على النقاشات الأمريكية-الإسرائيلية، كي يعطيها هذا "الاتفاق الموازي"، المرونة لاستخدام القوة ولو بمفردها، وكحل أخير، من أجل وقف إيران من عبور العتبة النووية، أو في حالة تمكن استخباراتها من العثور على ما يجب ضربه في برنامج الصواريخ الإيراني، ولتضييق الخناق على إيران إلى أبعد قدر ممكن، تضغط إسرائيل باتجاه خطوات عملية ضد التهديدات الإيرانية غير المرتبطة بالبرنامج النووي، ولا سيما دعم "الإرهاب" ونشر الأسلحة في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى النفوذ الإيراني المتزايد في سوريا،

(٣) القضية الفلسطينية وإسرائيل في الاستراتيجية الأمريكية

جاءت قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في ذيل أولويات الولايات المتحدة، وتم اختصاره ربما في جملة واحدة، وهي التي تصدرت الإعلام في إسرائيل:

"على مدار عقود كان الحديث عن أن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو المحور الأساسي الذي منع تحقيق السلام في المنطقة، إلا أن اليوم يتضح أن التطرف الإرهابي الإسلامي الآتي من إيران قادنا لندرك أن إسرائيل ليست مصدرا للصراع في الشرق الأوسط، وأن دولاً أظهرت إمكانيات التعاون المشترك مع إسرائيل لمواجهة التهديدات الإيرانية". وفي ذلك، يقول (افرايم غانور) الكاتب الإسرائيلي في صحيفة "معاريف": "إن أهمية الاستراتيجية التي عرضها الرئيس

ترامب تحت عنوان "إسرائيل ليست مسؤولة عن عدم الاستقرار في الشرق الأوسط"، أكبر من تصريح الرئيس بالاعتراف بالقدس كعاصمة إسرائيل."

إذن، الخطورة في "استراتيجية الأمن القومي الأمريكي" الراهنة هو تفكيك ما يشار إليه منذ العام ١٩٦٧ بـ"نظرية الربط" بين الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وعدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، فالاستراتيجية هي في حقيقتها محاولة ترويج لعدم أهمية القضية الفلسطينية وأن على الفلسطينيين الاستسلام للأمر الواقع، فيما إسرائيل دولة طبيعية يجب دمجها بالمنطقة للمساعدة في حل المشاكل الأمنية، مع تجاهل ما تقوم به في توسيع رقعة "الاستيطان" على امتداد الوطن التاريخي الفلسطيني.

وعليه يمكن القول، إن استراتيجية الرئيس ترامب الجديدة للأمن القومي وقراره عن القدس لا تنبئ بعلاقات جيدة للولايات المتحدة مع العالم الإسلامي عموماً والشرق الأوسط خصوصاً؛ وبات هذا جلياً في تغريداته على موقع تويتر بشأن قضايا الشرق الأوسط، وهو بذلك يزيد من تعقيد مشكلات المنطقة المعقدة أصلاً.

أظهر قرار ترامب بشأن القدس خلافاً واضحا بين الولايات المتحدة وبقية دول العالم كما بدا في الرفض الدولي (أصوات أعضاء مجلس الأمن الدولي كانت بنسبة (١٤ إلى ١)، أما الجمعية العامة فكانت (١٢٨ إلى ٩)، كما أنه أنهى توصيف الولايات المتحدة لنفسها كونها وسيط؛ وبالتالي صارت الولايات المتحدة – التي كانت الطرف الوحيد القادر على القيام بدور الوسيط والضغط على إسرائيل– تقف خصماً للفلسطينيين والدول المؤيدة لهم في الشرق الأوسط.

وتشير الاستراتيجية إلى علاقات قوية مع إسرائيل؛ ورغم عدم تقديمها خطة عمل متماسكة ومنظمة للتعاون مع إسرائيل في الشؤون الأمنية، فإنها تركت الأمر، وعن قصد واضح، أكثر مرونة وسهولة للفرق الأمنية من الجانبين لاختيار أفضل طرق وبدائل العمل بينهما، حيث أفردت بندا خاصا يقترح إجراء حوار أمريكي ـ

إسرائيلي من أجل وضع استراتيجية لسياسة أمنية منسقة بينهما في الشرق الأوسط.

(٤) الموقف من تركيا

بالرغم من عدم ورود اسم تركيا ولا مرة واحدة في النص الخاص بالاستراتيجية، لكنها كانت حاضرة بين السطور، فتركيا واحدة من البلدان التي تتحدث عنها كواليس واشنطن في سياق البلدان المشمولة بوصف "قوة تتصرف بشكل معادٍ"، فيما يعتقد البعض أن عدم ذكر تركيا بشكل سلبي في الوثيقة أمر"إيجابي". وهؤلاء يشيرون إلى اتهام مستشار الأمن القومي هربرت مكماستر تركيا وقطر بدعم الجهاديين، غير أن تركيا كانت تعتبر حتى اليوم حليفًا استراتيجيًّا وشريكًا في المجال الأمني، لكن على الأقل، فإن عدم ورود إسم تركيا، التي سمتها الولايات المتحدة على مدى سنوات "الشريك الاستراتيجي"، هو بحد ذاته رسالة تشير إلى أن واشنطن تضع مسافة وتتصرف بريبة إزاء أنقرة، وهو ما تؤكده بعض المؤشرات، حيث يبدو أن المسافات تتباعد على نحو أكبر بين البلدين، وقد وقعت حادثتان زادتا من شدة البرود المخيم على العلاقات بين الطرفين؛ استخدام الولايات المتحدة حق الفيتو في تصويت جرى بمجلس الأمن الدولي بخصوص القدس، ثم تأجيل الإدارة الأمريكية استلام طلبات التأشيرة حتى يناير ٢٠١٩ في إطار القيود المفرضة على سفر المواطنين الأتراك إلى الولايات المتحدة.

ثالثًا: ملاحظات أساسية حول استراتيجية الأمن القومي الأمريكية

هناك العديد من التحليلات والملاحظات التي تضمنتها الاستراتيجية، والتي وقف عندها العديد المحللين:

١. فيما يتعلق باللغة والخطاب، فإن العبارات الفضفاضة التي وردت في الاستراتيجية لا تطمس وقائع السياسات التي تعتمدها الإدارة الراهنة وتتسبب في اختلال علاقة أمريكا مع العالم، وفي عزلتها شبه التامة، كما هو الحال في

انفرادها مع تل أبيب في نقل السفارة الأمريكية إلى القدس المحتلة، وعلى عكس التكرارات السابقة لـ "استراتيجية الأمن القومي"، ثمة قناعة بأنّ "الاستراتيجية" الجديدة تنبثق عن الرئيس نفسه، مما يجعلها أكثر أهمية بكثير من تلك الوثائق التي طالما صدرت بشكل غير منتظم، وإذا صحّ أن الاستراتيجية الأمريكية الجديدة تهتدي بعقلية ترامب في كثير من مفاصلها، فالصحيح أيضاً أنها ليست طارئة تماماً على استراتيجيات سابقة لها، وتظل في الجوهر وفيّة لاستراتيجية ثابتة، عمادها إخضاع العالم وتسخيره لإرضاء رغبات واشنطن في شتى الميادين.

٢. بإعلانه رؤية رئاسته الاستراتيجية قبل اختتام عامه الأول في البيت الأبيض، يعتبر ترامب الرئيس الأسرع في هذا المجال منذ عقدين على الأقل، فعلى عكس الخبرات السابقة، وتحديداً بوش الإبن وأوباما، اللذين تولى كل منهما مقاليد البيت الأبيض لدورتين متتاليتين، لم يتعجلا في إعلان رؤية إدارتيهما الاستراتيجية، حيث أمضى أوباما أكثر من عامين في منصبه قبل أن يعلن ورقته الاستراتيجية الأولى. وربما ذلك عكسه الإدراك المتزايد في واشنطن لتحول طبيعة الاهتمام بالرؤية الاستراتيجية، من كونها إطاراً لتحديد مسار العلاقة بين البيت الأبيض والكونغرس، إلى إطار لتقديم الإدارة وأولوياتها للعالم بأسره، علاوة على أهمية عنصر الوقت في التعرف على التحديات التي تواجهه، وأدوات القوة المتاحة له.

٣. إن استخدام نهج جيوستراتيجي يدمج الخطابات القديمة مع الوضع الراهن، فـ "استراتيجية الأمن القومي" الجديدة تُضيف نظرةً عالميةً على سياساتٍ تُشبه كثيراً ما كانت الولايات المتحدة تقوم به منذ عام ١٩٤٠. فلقد حاولت إدارة بوش انتهاج استراتيجية تحويل الأنظمة الحاكمة إلى أنظمة ديمقراطية، وجاءت من بعدها إدارة أوباما التي تبنت استراتيجية فك الارتباط بالمنطقة والتخلي عن

فرض الديمقراطية، واليوم تعلن إدارة ترامب عن استراتيجية "أمريكا أولاً" التي هي في حقيقتها لا تقدم حلولاً لأزمات المنطقة، بل تحمّل الإدارتين السابقتين مسؤولية تضاؤل النفوذ الأمريكي لصالح إيران وانتشار الفكر الجهادي.

٤. أصدرت إدارة أوباما وثيقتيْن مختلفتيْن تماماً حول "استراتيجية الأمن القومي" في عامي ٢٠١٠ و٢٠١٥، لكنّها في وصف المصالح الوطنية الأمريكية الأساسية، استخدمت تعبير "نظام دولي قائم على القواعد تقدّمه القيادة الأمريكية لتعزيز السلام والأمن والفرص عبر التعاون الأقوى لمواجهة التحديات العالمية". بينما استخدم ترامب تعبير "أمريكا أولاً". وبالتالي، لا تبدو الرؤية التنظيمية لـ "استراتيجية الأمن القومي" الجديدة كنظرة عالمية انعزالية أو دولية، إنما كنظرة عالمية توحي بحقبة "القوى العظمى" في القرن التاسع عشر.

٥. وفيما يتعلق بالتحالفات، فقد أشارت الاستراتيجية الأمنية كذلك إلى مسألة التحالفات الدولية مع واشنطن؛ حيث أرادت عدم الدخول في تحالفات لا تكون الكلمة الأخيرة فيها لترامب، لكنها تعترف ضمناً بنهاية "عالم القطب الواحد" وعودة المنافسة مع الدول العظمى.

٦. ملاحظة أخرى تتمثل في أن العديد من المجالات قد جرت تغطيتها بشكلٍ سريعٍ جدّاً. فلم يستحق الشرق الأوسط إلا جزءاً واحداً قصيراً جُمعت فيه عناصر التوسع الإيراني وانهيار الدولة والإيديولوجيا الجهادية والركود الاجتماعي والاقتصادي والخصومات الإقليمية كمولّدات لعدم الاستقرار، من دون تقديم أي علاج ناجع.

٧. فى المفاهيم التى تستند إليها الاستراتيجية، مصطلح «التنافس من أجل النفوذ» يخفى مفهوم «الصراع»، والتركيز على القوة العسكرية يعنى تشديداً على أن

الصراع لا تحسمه إلا القوة العسكرية أو التلويح بها، هذا الإدراك للعلاقات الدولية يتفق مع النظرة إلى العالم على أنه يتكون من «دول قوية، مستقلة وذات سيادة، لكل منها ثقافتها وأحلامها، تعيش جنبا إلى جنب فى رخاء وحرية وسلام». هذا العالم الذى يصوره الرئيس ترامب، والذى لا تتجمع فيه جوانب من سيادات كل الدول فى سيادة جماعية مشتركة، هو الذى تحاربت الدول الأعضاء فيه لقرون وقرون حتى خاضت حربين عالميتين فى خلال ربع قرن راح ضحيتهما ما يناهز الثمانين مليونا من البشر.

وكما ذكرنا، فإن هناك نوعاً من الربط بين قضايا الأمن الأمريكي الاستراتيجي داخلياً، والأخرى ذات الصلة بالتحديات الخارجية لموقع أمريكا ودورها في العالم؛ على المستوى الداخلي، تتبنى إدارة ترامب لغة يمكن وصفها بالقومية الأمريكية، التي تعكس شعار الرئيس المفضل: «أمريكا أولاً».

في نهاية المطاف، فإنه لا يمكن إطلاق أحكام على هذه "الاستراتيجية للأمن القومي" إلا من خلال مراقبة درجة تقيّد الرئيس الأمريكي وكبار مستشاريه بها ككل.

المراجع

المرجع الرئيسي:

- **The White House, National Security Strategy of the United States of America, December, 2017, Available at:**

https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2017/12/NSS-Final-12-18-2017-0905.pdf

- استراتيجية «ترامب» للأمن القومي: إيران تهديد ولا أمن مجاني للدول الغنية، ١٨ ديسمبر ٢٠١٧، نقلاً عن الخليج الجديد:

http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_news.php?main_id=42492

- ترامب يعلن استراتيجية الأمن القومي لأمريكا: إيران في صدارة التهديدات، ١٨ ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:

https://al-ain.com/article/iran-trump-threaten-strategy-national-security

- محمد أبو النور، تقرير بعنوان: استراتيجية المحاور الأربعة.. الرئيس الأمريكى يعلن خطة جديدة للأمن القومى.. ترامب: الصين وروسيا تعملان ضد مصالح الولايات المتحدة.. والرؤساء السابقون سبب ضعف واشنطن وتمدد إيران، ١٩ ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:

http://www.youm7.com/story/2017/12/19/

- إبراهيم عوض، قراءة فى استراتيجية الأمن القومى للرئيس ترامب، السبت ٣٠ ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:

http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=30122017&id=85f1f6e9-5c45-4251-aaf5-0bc57e01a73e

- بشير موسى نافع، مقال بعنوان: إدارة ترامب تتبنى استراتيجية افتراضية لا أكثر، ٢٨ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:

https://www.noonpost.org/content/21369

- تساؤلات حول "استراتيجية الأمن القومي" الخاصة بإدارة ترامب: هل تتغير السياسة الأمريكية؟، المركز الديمقراطي العربي ٢١. ديسمبر ٢٠١٧، االرابط:

http://democraticac.de/?p=٥١١٤٦

- عثمان ميرغني، مقال بعنوان: مشكلة استراتيجية ترمب للأمن القومي... هي ترمب، ٢١ ديسمبر ٢٠١٧ مـــ، رقم العدد (١٤٢٦٨)، الرابط:

https://aawsat.com/home/article/1119546/

- محمود مجادلة، إستراتيجية ترامب للأمن القومي: "إسرائيل ليست مصدرا للنزاع"، ١٨ ديسمبر ٢٠١٧، موقع عرب ٤٨، الرابط:

https://www.arab48.com/%

- حسن أبو هنية، استراتيجية ترامب "الإمبريالية" للأمن القومي، ٢٤ ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:

https://arabi21.com/story/1058972/

- جيمس جيفري، تحليل بعنوان: استراتيجية ترامب للأمن القومي: أهي عودة إلى القرن التاسع عشر؟، ١٩ ديسمبر ٢٠١٧، معهد واشنطن، الرابط:

http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-trump-national-security-strategy-return-to-the-nineteenth-century

- استراتيجية الأمن القومي الأمريكي.. قراءة ما خلف السطور، الثلاثاء ٢٨ ربيع الثاني ١٤٣٩،

الرابط:
http://alwaght.com/ar/News/121813/

- محجوب الزويري، مقال بعنوان: إيران في استراتيجية الأمن القومي الأميركي «٢٠١٧»، ٢٧ ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:
http://www.al-watan.com/Writer/id/8822
- سميح صعب، مفال بعنوان: استراتيجية ترامب امتداد للمواجهة مع إيران، الميادين، ١٩ ديسمبر ٢٠١٧
http://www.almayadeen.net/articles/opinion/846782/
- تقرير بعنوان: ايران تتدد بالاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي، ١٩ ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:
http://www.alalam.ir/news/3232961/
- د.أسعد عبد الرحمن، مقال بعنوان: لا مكان لفلسطين في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي، ١٣ يناير ٢٠١٨، الرابط:
https://www.maannews.net/Content.aspx?id=935997
- شيماء أبو عميرة، القراءه الإسرائيلية لوثيقة الأمن القومي الأمريكي
http://theinternational.club/news/997/19-12-2017/
- سامي كوهين، استراتيجية الأمن القومي تباعد المسافات بين واشنطن وأنقرة، ٢٥ ديسمبر ٢٠١٧
https://www.turkpress.co/node/43453
- ناصر العيسة (ترجمة)، استراتيجية الأمن الأمريكي الجديدة تضمنت ما تريده اسرائيل، ذي جيروزالم بوست، ٢٧ ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:
http://www.ppp.ps/ar_page.php?id=159bddey22658526Y159bdde
- استراتيجية الأمن القومي الأمريكي الجديدة والشرق الأوسط، ١٦ يناير ٢٠١٨، الرابط:
http://igsda.org/2018/01/16/
- أحمد حسن علي، الشرق الأوسط في استراتيجية الرئيس ترامب للأمن القومي، مركز البيان للدراسات والتخطيط، ١٠-٠١-٢٠١٨ ، الرابط:
http://www.bayancenter.org/2018/01/4154/
- هلال قابلان، مقال بعنوان: تركيا.. الغائب الحاضر في استراتيجية الأمن القومي الأمريكية، ٢٢ ديسمبر ٢٠١٧، الرابط:
https://www.turkpress.co/node/43374